

المحسنات اللفظية في سورة الرحمن (دراسة تحليلية بلاغية)

Muhammad Syahran

Sekolah Tinggi Agama Islam Negeri Majene

Email: muhammad.syahran.m.m@gmail.com

ملخص

تهدف هذه الأطروحة إلى معرفة المحسنات اللفظية وأغراضها في سورة الرحمن. وأما مناهجها المستخدمة، فهي تنقسم إلى منهجين، أحدهما: منهج جمع المواد باستخدام الوسيلة المكتبية، وثانيهما: منهج تنظيم وتحليل المواد باستخدام ثلاثة مناهج، وهي: المنهج الاستقرائي، والمنهج الاستنباطي، والمنهج المقارن اللغوي والتاريخي. وأما من نتائج البحث فقد دلت على أن المحسنات اللفظية في سورة الرحمن تتكون من أربع محسنات، وهي: (1) السجع المرصع في موضع واحد، (2) والجناس بنوعيه المماثل والناقص في ثلاثة مواضع، (3) وحسن الابتداء أو براعة الاستهلال في موضع واحد، (4) وحسن الاختتام أو مسك الختام في موضع واحد، فصار مجموع هذه المحسنات اللفظية أربعة في ستة مواضع. وكذلك دلت على أن أغراض المحسنات اللفظية في سورة الرحمن تكون في أربعة أغراض، وهي: (1) الإعجاز اللغوي، (2) والإعجاز الموسيقي أو النغمي، (3) والحكم (4) وعلم الساعة. وكل هذه الأغراض داخلة في مسميات رحمة الله وآلائه. ولقد شيدت -إن صح التعبير- هذه الأطروحة اللبنة الأساسية في مشروع علمي متعاون بين الدراسات القرآنية التفسيرية والدراسات البلاغية البديعية بخصوص المحسنات اللفظية، فالمأمول من إخوة الباحثين والدارسين أن يواصلوا بناء هذا المشروع المجيد الذي قد تشيدت بنيته المتينة، وإلا فلا أقل من دراسات تعالج تخصيص الأبواب التي لم تزل عامة أو تبيين الأبواب التي لم تزل مجملة في المؤلفات الإسلامية حتى تسهل الاستفادة منها وفق الرغبات العلمية الكثيرة وطبق الحماسات المعرفية المتنوعة.

الكلمات المفتاحية: المحسنات اللفظية، سورة الرحمن، دراسة تحليلية بلاغية

Abstrak

Tujuan artikel ini adalah untuk mengetahui *al-Muhassināt al-Lafziyyah* dan tujuan-tujuannya dalam Surah al-Rahmān. Metode yang digunakan untuk mengatur dan menganalisis data ada tiga: pendekatan induktif, pendekatan deduktif, dan metode linguistik historis komparatif. Adapun hasil penelitian telah menunjukkan bahwa *al-Muhassināt al-Lafziyyah* dalam Surah al-Rahmān terdiri dari empat *Muhassināt*: 1) *al-Saja' al-Muraṣṣa'* di satu tempat, 2) *al-Jinās* dengan dua jenisnya *al-Mumāsīl* dan *al-Nāqīṣ* di 3 tempat dan 3) *Barā'ah al-Istihlāl*, dan 4) *Husnu al-Khitām*, sehingga total *al-Muhassināt al-Lafziyyah* dalam Surah al-Rahmān adalah empat pada enam tempat. Hasil penelitian ini juga menunjukkan bahwa tujuan dari *al-Muhassināt al-Lafziyyah* dalam Surah al-Rahmān ada dalam empat tujuan: 1) mukjizat linguistik, 2) mukjizat musik atau irama, 3) hikmah-hikmah 4) dan ilmu tanda-tanda kiamat. Semuanya ini termasuk dalam kategori Rahmat dan Nikmat karunia Allah swt. Diharapkan bagi saudara-saudara, para peneliti, dan cendekiawan, untuk melanjutkan proyek yang mulia ini yang telah terbangun strukturnya yang kokoh. Minimal ada studi dan kajian yang mengkhususkan bab-bab yang masih bersifat umum atau merinci pembahasan yang masih global dalam literatur Islam sehingga mudah diambil manfaatnya sesuai dengan keinginan ilmiah yang beragam dan latar belakang pengetahuan yang berbeda.

Kata kunci: *al-Muhassināt al-Lafziyya*; Surah al-Rahmān; Studi analisis *balāghah*.

مقدمة

قال ابن خلدون في المقدمة: كان الزمخشري قد ألف الكشاف وهو محاولة على فهم وتفسير الآيات القرآنية بوسيلة علم البلاغة أو في منظور علم البلاغة، فبلغ إلى تجلية البعض من إعجاز القرآن البلاغي فاختص بهذا الفضل على سائر كتب التفاسير السابقة، إلا أنه يدافع عن أقوال أهل البدع عند اقتباسها من كتاب الله عز وجل بوجوه البلاغة، ولأجل ذلك يتعد عنه كثير من أهل السنة والجماعة مع كثرة علومه في البلاغة.²¹

ثم من العلماء المتأخرين من نهج في تفسيره منهج الزمخشري مثل وهبة بن مصطفى الزحيلي في كتابه التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج لأنه قسم تفسير كل آية حسب أنواع العلم، ومنها البلاغة. ومثله في ذلك محمد بن علي الصابوني في كتابه صفوة التفاسير، ومحمد الأمين الهرري في كتابه تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن.

والمباحث البلاغية وبالآدق المباحث البديعية وبخصوص المحسنات اللفظية في تلك التفاسير موجودة بكثرة، ولكنها ما زالت مختلطة بين علم المعاني والبيان والبديع، فلا يخصص كل في مكانه بل ينضم بعضه إلى بعض. فهذه الأطروحة التي سيقدمها الباحث تعالج ما تركته هذه التفاسير، لأنها ستجعل مكانا خاصا لعلم البديع وبالآدق المحسنات اللفظية، مما يسهل التفريق بين علم البديع وغيره من العلوم البلاغية الأخرى بل بين المحسنات المعنوية والمحسنات اللفظية.

وأما الكتب أو الدراسات أو الرسائل العلمية التي تعالج العناصر البلاغية بشكل عام في سورة الرحمن، فموجودة أيضا، ومنها: كتاب سورة الرحمن دراسة بلاغية وأسلوبية لإبراهيم عوض، فهذا الكتاب احتوى على مباحث مهمة وعميقة من ناحية البلاغة والأسلوب، لكنه لا يزال مجملا في مباحثه البلاغية، فلا يفرق بين المعاني والبيان والبديع بل لا يذكر فيه الأغراض البلاغية ولا سيما المحسنات اللفظية بشكل مستقل.

¹ عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون (بيروت: دار الفكر، 1431 هـ - 2001)، ج. 1، ص. 555-

وتعثر الباحث على رسالة الدكتوراه في جامعة علاء الدين الإسلامية الحكومية مكاسر سنة 2013 م تحت الموضوع: الصور البديعية في سورة يس لمحمد شكور ديري، فوجد أن وجه الشبه بين هذه الرسالة والبحث الذي قدمه الباحث يكون في تركيز كليهما في الأساليب أو الأقسام أو المباحث البديعية، وكذلك في استخدامهما التفاسير وكتب البلاغة للحصول على البيانات. وأما وجه الفرق بينهما فتكون رسالة الدكتوراه هذه تناولت سورة يس، بينما رسالة الباحث تناولت سورة الرحمن، ولا شك أنه سيقع الفرق أيضا في الأساليب أو الأقسام أو المباحث البديعية التي تبحث عنها لاختلاف السورة. وكذا يقع الفرق أيضا في منهج البحث، فرسالة الدكتوراه هذه تستخدم منهج التحليل الوصفي مع المنهج الكيفي، بينما رسالة الباحث تستخدم منهج البحث المكتبي مع المنهج الاستقرائي والاستنباطي والمقارن.

وكذلك تعثر الباحث على رسالة الماجستير في قسم تعليم اللغة العربية بجامعة علاء الدين الإسلامية الحكومية سنة ١٤٣٨ هـ / ٢٠١٧ م تحت الموضوع: الأمر في سورة النساء دراسة تحليلية نحوية بلاغية لشمس الدين، ونستطيع القول بأن هذه الرسالة من حيث وجه الشبه ووجه الفرق بينها وبين هذه الأطروحة كشأن رسالة الدكتوراه السابقة وعلاوة على ذلك أنه لا يذكر في هاتين الرسالتين الأغراض البلاغية وبالأصح أغراض المحسنات اللفظية.

نعم، قد اطلع الباحث على مجلة ديوان وهي مجلة محكمة لقسم اللغة العربية وآدابها لكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة علاء الدين الإسلامية الحكومية مكاسر فوجد فيها مقالة تحت الموضوع الأمر في سورة التوبة دراسة تحليلية من منظور علم المعاني للباحث عمران، تحدث فيها الباحث عن معاني صيغ الأمر في سورة التوبة فحصل على معنى الإباحة والإهانة والتهديد والتسوية.³

ولا أبالغ إن قلت إن المعاني غير الأغراض، لأن الأغراض أعمق منها، فالمعاني من الوسائل للحصول على الأغراض، فيرى الباحث أن مقالة الباحث عمران لم يكن تحدث شيئا من الأغراض. وهذه

³ عمران، الأمر في سورة التوبة دراسة تحليلية من منظور علم المعاني (مجلة ديوان، ج. 4، الرقم 2، 2018)، ص.

الأغراض هي المشكلة الأساسية والمميزة الحميدة - وإن لم تكن وحيدة - في مقالة الباحث تحت العنوان: المحسنات اللفظية في سورة الرحمن (دراسة تحليلية بلاغية).

فمن الجدير بالذكر أن تلك الكتب والدراسات والبحوث قد تحدثت كثيرا عن العناصر البلاغية وأخص بالذكر العناصر البديعية وبالأدق المحسنات اللفظية، غير أن الباحث استشكل تلك الكتب والدراسات والبحوث من حيث أنها لم تكن متوفرة فيها أغراضها بشكل مستقل، اللهم إلا لفظة يسيرة وهي لا تشفي العليل ولا تروي الغليل فيما يخص أغراض العناصر البلاغية وبالأدق المحسنات اللفظية. والحاجة إلى هذه الأغراض توجبنا قبل كل شيء إلى ذكر المحسنات اللفظية كمنطلق أساسي لطرح هذه الأطروحة المتواضعة. فجاءت هذه الأطروحة تحت العنوان: المحسنات اللفظية في سورة الرحمن (دراسة تحليلية بلاغية) باتخاذ المحسنات اللفظية في سورة الرحمن أساسا ومنطلقا للوصول إلى أغراضها التي نتحدث عنها في مقامها المناسب.

المحسنات اللفظية في سورة الرحمن

السجع المرصع غير المتكلف

يكون في قوله تعالى: ((الْبَيَانَ عَلَّمَهُ^٢ الْإِنْسَانَ خَلَقَ^٣ الْقُرْآنَ عَلَّمَ^٤ الرَّحْمَنُ))^٤. وقبل أن يوضح الباحث ماهية السجع المرصع غير المتكلف، فمن الأهمية بمكان إيضاح تعريف السجع بالإطلاق. فقال السيوطي: السجع مأخوذ من سجع الحمام، وهو عند أهل الفن تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد...^٥

^٤ وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج. 27، ص. 195.

^٥ جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي، شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، ت. د. إبراهيم محمد الحمداني و د. أمين

لقمان الحبار، ص. 343.

وأما السجع المرصع فهو أحد أقسام السجع الثلاثة، وهو ما كان في الأولى مقابلا لما في الثانية وزنا وتقفية.⁶ ووصف الزهيلي السجع المرصع بغير المتكلف يدل على أن حسن السجع إنما يكون حالة غير متكلف، فإذا كان متكلفا زال حسنه وجماله.

وقال الهاشمي: السجع هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير، وأفضله ما تساوت فقره، وهو ثلاثة أقسام: المطرف والمرصع والمتوازي. إذا السجع المرصع هو أحد أقسام السجع الثلاثة - كما تقدم - وهو ما كان فيه ألفاظ إحدى الفقرتين كلها أو أكثرها مثل ما يقابلها من الفقرة الأخرى وزنا وتقفية.⁷ فليس هناك تعارض بين السجع المرصع الذي أوضحه السيوطي بما قد بينه الهاشمي، بل كان الهاشمي مؤيدا لما قد أوضحه السيوطي.

فوزن وتقفية كل من كلمة الرحمن، والقرآن، والإنسان، والبيان في الآية المذكورة متقابلتان، ذلك لأن وزن الرحمن هو "فَعْلان"، ووزن القرآن هو "فُعْلان"، ووزن الإنسان هو "فِعْلان"، ووزن البيان أيضا قريب من تلك الأوزان الثلاثة التي تختلف في أول شكلها فقط. وأما تقفية أو قافية تلك الكلمات كلها بالألف والنون، وهذا هو أهم الاعتبارات في السجع.

الجناس في ثلاثة مواضع

الجناس الناقص أو جناس الاشتقاق لتغير الشكل والحروف

يكون في قوله تعالى: ((...ذَانِ الْجَنَّتَيْنِ وَجَنَى))، وأما الجناس فهو أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى، وهو نوعان، النوع الأول: تام وهو ما اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة هي: نوع الحروف وشكلها وعددها وترتيبها. والنوع الثاني: غير تام وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور المتقدمة.⁸ والجناس قد يقال له التجنيس، والمجانسة، والتجانس،⁹ ولا مجال لنا في الاعتراض

⁶ جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي، شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، ت. د. إبراهيم محمد الحمداني و د. أمين لقمان الحبار، ص. 345.

⁷ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ص. 330-331.

⁸ علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة (ط. 1؛ مكتبة البشري: باكستان، 1431 هـ - 2010 م)، ص.

على اختلاف تلك الأسامي بعد فهم اتفاق المعاني، وقد سماح إمام علم البديع ابن المعتز العباسي من أراد أن يأتي باسم آخر غير ما قد سماه به، بل سماح من أراد أن يأتي بفن من فنون البديع غير ما قد أتى به هو، كما هو المشار إليه في قوله ما نصه: "ولعل بعض من قصر عن السبق إلى تأليف هذا الكتاب ستحدثه نفسه وتمنيه مشاركتنا في فضيلته، فيسمي فنا من فنون البديع بغير ما سمينا به، أو يزيد في الباب من أبوابه كلاما منثورا..."¹⁰

وقال السيوطي: من أنواع البديع اللفظية الجناس بين اللفظين، وهو تشابههما في اللفظ... قال في كنز البراعة: ولم أر من ذكر فائدته، وخطر لي أنها الميل إلى الإصغاء، فإن مناسبة الألفاظ تحدث ميلا وإصغاء إليهما، ولأن اللفظ المشترك إذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به آخر، كان للنفس تشوق إليه... ومن أنواع الجناس، الناقص بأن يختلفا (اللفظان) في عدد الحروف...¹¹

جناس الإضمار

يكون بين ((وَالشَّجَرِ النَّجْمِ...))¹²، فهذا الجناس من أنواع الجناس المعنوي، لأنه نوعان: جناس إضمار وجناس إشارة، والجناس في قوله تعالى: ((وَالشَّجَرِ النَّجْمِ...)) جناس الإضمار، وهو أن يأتي بلفظ يحضر في ذهنك لفظا، وذلك اللفظ المحض يراد به غير معناه بدلالة السياق.¹³ ذلك لأن لفظ النجم يحضر في الذهن بأنه كوكب من كواكب السماء أو نجم من نجوم السماء، إلا أن دلالة السياق وهي لفظ الشجر الواقع بعده تدل على أن المراد هو ليس بكوكب من كواكب السماء أو نجم من

⁹ جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي، شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، ت. د. إبراهيم محمد الحمداني و د. أمين لقمان الحبار، ص. 325.

¹⁰ أبو العباس عبد الله بن المعتز، كتاب البديع، شرحه وحققه عرفان مطرجي (ط. 1؛ بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1433 هـ - 2012 م)، ص. 12. <http://www.noor-book.com/badi-1> (9 April 2018).

¹¹ جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي، شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، ت. د. إبراهيم محمد الحمداني و د. أمين لقمان الحبار، ص. 325-332.

¹² محمد الأمين الهرري، حقائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ج. 28، ص. 336.

¹³ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص. 403.

نجوم السماء، بل المراد هو النبات الذي لا ساق له لقريئة الشجر الذي يدل على النبات التي لها ساق.

الجناس المماثل

يكون بين الوزن والميزان في قوله تعالى: ((**الْمِيزَانَ تَخْسِرُوا وَلَا بِالْقِسْطِ الْوَزْنَ وَأَقِيمُوا**))¹⁴، وكما تقدم أن الجناس هو تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى، وهو إما لفظي وإما معنوي. فإن كان اللفظان المتجانسان من نوع واحد كاسمين أو فعلين أو حرفين، سمي الجناس مماثلاً¹⁵. فانطلاقاً من هذا، يفهم أن بين الوزن والميزان في تلك الآية جناساً مماثلاً كما قاله الهرري، من حيث أن الوزن والميزان لفظان متجانسان من نوع واحد وهما اسمان، إلا أن مثال الجناس المماثل الذي أتى به العلماء في كتبهم لا يحصل فيه شيء من الاختلاف في اللفظين، لا بزيادة حرف أو نقصانه، إنما يحصل الاختلاف في المعنى فقط، نحو قوله تعالى: ((**سَاعَةٌ غَيْرَ لَيْثٍ وَأَمَّا الْجَرْمُونَ يُقَسِّمُ السَّاعَةَ تَقُومُ وَيَوْمَ ...**)) (الروم/30: 55) فالمراد بالساعة الأولى يوم القيامة، وبالساعة الثانية المدة من الزمان¹⁶.

ففي نظر الباحث أن بين الوزن والميزان في تلك الآية عدم توفر الشروط لتسميته بالجناس المماثل، لا سيما أن السيوطي ذكر في شرح عقود الجمان: أنه قيل، لم يقع من الجناس المماثل في القرآن غير هذه الآية التي فيها ساعتان، واستنبط ابن حجر آية أخرى هي ((...))¹⁷ **الْأَبْصَرَ لِأُولِي لَعِبْرَةٍ ذَلِكَ فِي إِنْ وَالنَّهَارَ اللَّيْلَ اللَّهُ يُقَلِّبُ** **بِالْأَبْصَرَ يَذْهَبُ بَرْقِهِ سَنَائِكَادُ**)

¹⁴ محمد الأمين الهرري، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ج. 28، ص. 310.

¹⁵ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ص. 396-397.

¹⁶ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ص. 397.

¹⁷ جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي، شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، ت. د. إبراهيم محمد الحمداني و د. أمين

لقمان الحبار، ص. 326.

فيرى الباحث أن بين الوزن والميزان في تلك الآية جناسا غير تام أو ناقصا، لأن الجناس غير التام أو الناقص هو ما اختلف فيه اللفظان في واحد أو أكثر... واختلافهما يكون إما بزيادة حرف في الأول أو الوسط أو الآخر. وإن بين الوزن والميزان زيادة حرف، فيستحق أن سمي هذا الجناس غير التام أو الناقص.

وأما
بين
قوله
تعالى:
)

حُبِيرُواوَأُولَا بِالْقِسْطِ الْوَزْنَ وَأَقِيمُوا^(٨) الْمِيزَانَ فِي تَطْعَوَاتِ الْأَلْيَا^(٧) الْمِيزَانَ وَوَضَعَ رَفَعَهَا وَالسَّمَاءَ

^(٩) الْمِيزَانَ^(٨) فيحصل من لفظ الميزان في هذه الآيات - بلا أدنى شك - الجناس المماثل انطلاقا مما ذكره السيوطي في استنباط ابن حجر

براعة الاستهلال

وهي ما يشير إليها البقاعي بقوله في تفسيره: وصدورها (أي سورة الرحمن) بالاسم الدال على عموم الرحمة براعة للاستهلال.¹⁸ وبراعة الاستهلال من المحسنات اللفظية.

قال السيوطي: ينبغي للمتكلم شاعرا كان أم كاتباً أن يتأنق في مواضع هي محل تشوف النفوس وبيالغ في تحسينها بأعذب لفظ وأجزله وأرقه وأسلسه وأحسنه نظماً وسبكاً وأصحه معنى وأوضحه وأخلاه من التعقيد ومن التقديم والتأخير الملبس أو الذي لا يناسبو أحدها الابتداء، لأنه أول ما يقرع السمع، فإن كان محرراً أقبل السامع على الكلام ووعاه، وإلا أعرض عنه ولو كان الباقي في نهاية الحسن...¹⁹

¹⁸ إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج. 19، ص. 140.

¹⁹ جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي، شرح عقود الجمان في المعاني والبيانات، د. إبراهيم محمد الحمداني و د.

أمين لقمان الحبار، ص. 388.

فكل من السيوطي والهاشمي ذكر حسن الابتداء أو براعة الاستهلال أو براعة المطلع في كتابيهما، وكلاهما ذكره في قائمة المحسنات البديعية اللفظية، وإن اختلاف الاسم الذي أتيا به هو اختلاف لفظي، لأن المعنى الذي أراداه منه سيان.

فقوله تعالى: ((الرَّحْمَنُ)) في ابتداء سورة الرحمن يستخدم أسلوب براعة الاستهلال، لأن جميع المباحث والمحاور التي بينها الله بعد هذا الافتتاح، يتعلق بعموم الرحمة، وقد دل قوله تعالى: ((الرَّحْمَنُ)) على جميع النعم المقصودة في سورة الرحمن.

وحسن الاختتام أو حسن الانتهاء أو حسن الختام

قال السيوطي:

بجتمه فهو البليغ الأحسن	وإن يجيء في الانتهاء مؤذن
-------------------------	---------------------------

هذا آخر المواضع التي يجب التأنق فيها، لأنه آخر ما يعيه السامع ويرسم في الذهن، فإن كان حسنا تلقاه السامع واستلذه وجبر ما وقع فيما سبقه من تقصير وإلا فبالعكس، وربما أنسى المحاسن الموردة فيما سبق.²⁰

وقال الهاشمي: حسن الانتهاء أو حسن الختام هو أن يجعل المتكلم آخر كلامه عذب اللفظ، حسن السبك، صحيح المعنى، مشعرا بالتمام حتى تتحقق براعة المقطع بحسن الختام.²¹ فالزهيلي والهرري لم يذكر هذا العنصر البديعي اللفظي في تفسيريهما حسب قراءة الباحث، بل جل العلماء والباحثين لم يلفتوا النظر إليه بصريح القول، سوى ما ذكره البيهقي نقلا عن الرازي، وهو قوله: ... وقد انعطف آخر السورة على أولها على وجه أعم...²²

²⁰ جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي، شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، ت. د. إبراهيم محمد الحمداني و د. أمين لقمان الحبار، ص. 394.

²¹ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص. 421.

²² إبراهيم بن عمر البيهقي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج. 19، ص. 194.

فقوله - سبحانه وتعالى - ((وَالْإِكْرَامِ الْجَلَلِ ذِي رَبِّكَ أَسْمُ تَبْرَكَ)) يستخدم أسلوب حسن الختام أو مسك الختام، وذلك لأن جميع الآلاء والنعمة التي قد أنعمها الله على الخلق وبينها في مواضع مختلفة في سورة الرحمن، قد كانت مستقرة في تصور من تأمل ووعي افتتاح الكلام بالرحمن، ولأجل تمام هذا التأمل والوعي، فلا بد من اختتام يناسب الافتتاح حتى يتم الكلام صورة ومعنى، وحتى يتنبه القارئ أن الكلام قد انتهى، فلا ينتظر البيان الآخر.

أغراض المحسنات اللفظية في سورة الرحمن الإعجاز اللغوي

قال الرازي: ... والميزان ذكره الله تعالى ثلاث مرات، كل مرة بمعنى آخر، فالأول هو الآلة ووضع الميزان، والثاني بمعنى المصدر لا تطغوا في الميزان أي الوزن، والثالث للمفعول (لا تخسروا الميزان) أي الموزون. وذكر الكل بلفظ الميزان لما بينا أن الميزان أشمل للفائدة وهو كالقرآن ذكره الله تعالى بمعنى المصدر في قوله تعالى: ((قُرْءَانُهُ رَفَاتِبَعٌ قَرَأْنُهُ فَإِذَا)) (القيامة/75: 18) وبمعنى المقروء في قوله تعالى: ((وَقُرْءَانُهُ رَجْمَعُهُ عَلَيْنَا إِنِّ)) (القيامة/75: 17) وبمعنى الكتاب الذي فيه المقروء في قوله تعالى: ((الْجِبَالُ بِهِ سُيِّرَتْ قُرْءَانًا أَنَّا وَلَوْ ...)) (الرعد/13: 31) فكأنه آلة ومحمل له،... وبين القرآن والميزان مناسبة، فإن القرآن فيه من العلم مالا يوجد في غيره من الكتب، والميزان فيه من العدل مالا يوجد في غيره من الآلات²³.

فيمكن للباحث أن يستنتج خلاصة هذه الأغراض بأن تكرار لفظ الميزان في مقام التأكيد والتشديد ليندفع المخاطب على استعماله وتطبيق معنى الميزان وهو العدالة في حياتهم المتكررة يوما بعد يوم، حتى لا يخسر الآخرين في استعمال ذلك الميزان، وإلا فسيكونون من الخاسرين في يوم القيامة بإخسارهم الآخرين في الدنيا. وكذا تكرار لفظ الميزان يدل على أن تلك الموازين يختلف بعضها عن بعض، فلا بد من إظهاره لا إضماره، لأن الإضمار يدل على نفس الشيء المذكور من قبل، ولا

²³ فخر الدين محمد بن عمر الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج. 29، ص. 92 - 93.

يؤتى بلفظ آخر له معنى مرادف للفظ الميزان، لأن شمولية دلالة لفظ الميزان لا يقوم مقامها لفظ آخر.

الإعجاز الموسيقي أو النغمي

قال عبد الكريم الخطيب في التفسير القرآني للقرآن: الرحمن، والقرآن، والإنسان، والبيان، وبحسبان، ويسجدان، والميزان (1)، والميزان (2)، والميزان (3)، وللأنام، والأكمام، والريحان. فهذه اثنتا عشرة فاصلة تقيم الأذن على هذا النغم، ويربطها به، فإذا تكررت هذه الفاصلة بعد ذلك، لم تجد الطريق إلى الأذن مسدودا عليها، أو مستوحشا منها، بل إن الأذن لتتفتح لها، وتدعوها إليها، وتجذبها نحوها.²⁴

الحكم

وأما أغراض السجع المرصع في قوله تعالى: ((الْبَيَانَ عَلَّمَهُ ۝ الْإِنْسَانَ خَلَقَ ۝ الْقُرْآنَ إِنْ عَلَّمَ ۝ الرَّحْمَنُ)) فقال الزمخشري في ذلك: عدد الله - عز وعلا - آلاءه، فأراد أن يقدم أول شيء ما هو أسبق قدما من ضروب آلائه وأصناف نعمائه، وهي نعمة الدين، فقدم من نعمة الدين ما هو أعلى مراتبها وأقصى مراقبها وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه... وأخر ذكر خلق الإنسان عن ذكره، ثم أتبعه إياه ليعلم أنه إنما خلقه للدين، وليحيط علما بوحيه وكتبه وما خلق الإنسان من أجله، وكأن الغرض في إنشائه كان مقدما عليه وسابقا له، ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان، وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير.²⁵

علم الساعة أو إسكاتولوجيا

²⁴ عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (ط. 1؛ دار الفكر العربي: د. م.، 1390 هـ - 1970 م)، ج. 5،

ص. 654. <https://vb.tafsir.net/tafsir44203/> (26 Juli 2018).

²⁵ جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق عادل أحمد

عبد الموجود وعلي محمد معوض، ج. 6، ص. 5.

وأما أغراض أسلوب الجناس الناقص أو جناس الاشتقاق في قوله تعالى: ((... دَانَ الْجَنَّتَيْنِ وَجَنَى)) فقال الزهيلي في ذلك: ... قريب التناول، يناله القائم والقاعد والمضطجع...، وثمر الجنتين قريب التناول منهم متى شأوا وعلى أي صفة كانوا²⁶. وهذا الغرض يتناسب مع حقيقة الجناس الذي فيه تقارب حروفه كما في هذه الآية الكريمة.

وقال الفخر الرازي فيما يدل على الأغراض في قوله تعالى: ((... دَانَ الْجَنَّتَيْنِ وَجَنَى)) فيه إشارة إلى مخالفة الجنة دار الدنيا من ثلاثة أوجه، أحدها: أن الثمرة في الدنيا على رءوس الشجرة والإنسان عند الاتكاء يبعد عن رءوسها، وفي الآخرة هو متكئ والثمره تنزل إليه. ثانيها: في الدنيا من قرب من ثمره شجرة بعد عن الأخرى وفي الآخرة كلها دان في وقت واحد ومكان واحد. وفي الآخرة، المستقر في جنة عنده جنة أخرى. ثالثها: أن العجائب كلها من خواص الجنة فكانت أشجارها دائرة عليهم ساترة إليهم وهم ساكنون، على خلاف ما كان في الدنيا وجناتها، وفي الدنيا الإنسان متحرك ومطلوبه ساكن، وفيه الحقيقة وهي أن من لم يكسل ولم يتقاعد عن عبادة الله تعالى، وسعى في الدنيا في الخيرات، انتهى أمره إلى سكون لا يحوجه شيء إلى حركة، فأهل الجنة إن تحركوا تحركوا لا حاجة وطلب، وإن سكنوا، لا لاستراحة بعد التعب. ثم إن الولي قد تصير له الدنيا أمودجاً من الجنة، فإنه يكون ساكناً في بيته ويأتيه الرزق متحركاً إليه دائراً حواليه، يدلك عليه قوله تعالى :

))
إِنَّ اللَّهَ عِنْدَ مَنْ هُوَ قَالَتْ هَذَا لِكَيْ أُنِي يَسْمَرِيْمُ قَالَ رِزْقًا عِنْدَهَا وَجَدَ الْمِحْرَابَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا دَخَلَ كَلَّمَا

حِسَابٍ بِيغْيَرِ نِسَاءً مَنْ يَرْزُقُ اللَّهُ)) (آل عمران/3: 37).²⁷

خاتمة

²⁶ وهبة الزهيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج. 27، ص. 238 و 241.

²⁷ فخر الدين محمد بن عمر الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج. 29، ص. 128.

يتكون مجموع المحسنات اللفظية في سورة الرحمن من أربع محسنات، وهي: (1) السجع المرصع في موضع واحد، (2) الجناس بنوعيه المماثل والناقص في ثلاثة مواضع، (3) وحسن الابتداء أو براعة الاستهلال في موضع واحد، (4) وحسن الاختتام أو مسك الختام في موضع واحد، فصار مجموع هذه العناصر البديعية اللفظية أربعة في ستة مواضع.

وأما أغراض المحسنات اللفظية في سورة الرحمن فتكون في أربعة أغراض وهي: (1) الإعجاز اللغوي، (2) والإعجاز الموسيقي أو النغمي، (3) والحجْم (4) وعلم الساعة أو إسكاتولوجيا التي انطوت كل هذه الأغراض في مسميات رحمة الله وآلآئه.

مراجع

القرآن الكريم.

إبن عاشور، مُجَّد الطاهر. التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر: تونس، 1984.

<https://archive.org/details/FP3667> (31 Mei 2018).

إبن مالك، بدر الدين. المصباح في المعاني والبيان والبديع. تحقيق حسني عبد الجليل يوسف.

مكتبة الآداب: الجاميز، د. س. <https://archive.org/details/msmabibdmsmabibd> (15 Juli 2018).

الأندلسي، أبو حيان مُجَّد بن يوسف. البحر المحيط. تحقيق عادل أحمد عبد الموجود. ط. 1

دار الكتب العلمية: بيروت، 1413 هـ - 1993 م. <https://archive.org/details/FP10079FP> (31 Mei 2018).

البقاعي، إبراهيم بن عمر. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. دار الكتاب الإسلامي:

القاهرة، 1404 هـ - 1984 م. <https://archive.org/details/FP3994> (28 Mei 2018).

البيضاوي، عبد الله بن عمر. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. دار الكتاب الإسلامي: القاهرة،

1404 هـ - 1984 م. <https://archive.org/details/TafsirBaydawi> (30 Juni 2018).

الجارم، علي ومصطفى أمين. البلاغة الواضحة. ط. 1; مكتبة البشري: باكستان، 1431 هـ

- 2010 م.

- الرازي، فخر الدين مُجَّد بن عمر. التفسير الكبير ومفاتيح الغيب. ط. 1; دار الفكر: بيروت، 1401 هـ - 1981 م. (<https://archive.org/details/mghtrazi>) (28 Mei 2018)
- الزحيلي، وهبة. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ط. 10; دار الفكر: دمشق، 1430 هـ = 2009 م (<http://ar.islamway.net/collection/12231>) (27 Mei 2018)
- الزخشري، جار الله محمود بن عمر. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي مُجَّد معوض. ط. 1; الرياض: مكتبة العبيكان، 1418 هـ - 1998 م. (<https://archive.org/details/Kashaf2>) (30 Juni 2018)
- السكاكي. مفتاح العلوم. تحقيق نعيم زرزور. ط. 2; بيروت: دار الكتب العلمية، 1407 هـ - 1987 م. (<http://waqfeya.com/book.php?bid=10519>) (20 أبريل 2018 م).
- السيوطي، الحافظ جلال الدين. إتمام الدراية لقراء النقاية. تحقيق إبراهيم العجور. ط. 1; بيروت: دار الكتب العلمية، 1405 هـ - 1985 م. (<http://waqfeya.com/book.php?bid=10377>) (20 أبريل 2018 م).
- شرح عقود الجمان في المعاني والبيان. تحقيق إبراهيم مُجَّد الحمداني و د. أمين لقمان الحبار. ط. 1; دار الكتب العلمية: بيروت، 2011 م. (<https://archive.org/download/charhoq...rhsytdjmn.pdf>) (14 Juli 2018).
- الصابوني، مُجَّد علي. صفوة التفاسير. دار القرآن الكريم: بيروت، 1402 هـ - 1981 م. (<https://archive.org/details/Safwattafasir>) (31 Mei 2018).
- الطبري، مُجَّد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق بشار عواد معروف وعصام فارس الحرساني. ط. 1; مؤسسة الأطروحة: بيروت، 1415 هـ - 2011 م. (<https://archive.org/details/WAQ17998>) (14 Juli 2018).
- عباس، تحسين فاضل وميثاق علي السلمي. "التكرار في الحكم والمواعظ في نهج البلاغة دراسة دلالية" مجلة اللغة العربية وآدابها، ج. 1 ر. 26 (2017). (24. (<https://www.uokufa.edu.iq/journals/index.php/arll/article/view/6424>). Juli 2018).

عمران. الأمر في سورة التوبة دراسة تحليلية من منظور علم المعاني. مجلة ديوان، ج. 4، الرقم 2، 2018.

عوض، إبراهيم. سورة الرحمن دراسة بلاغية وأسلوبية. د. ن.: د. م.، 1438 هـ - 2016 م.
<http://www.alukah.net/library/0/109900/> (16 Juli 2018).

القزويني، الخطيب جلال الدين. الإيضاح في علوم البلاغة. تحقيق إبراهيم شمس الدين. ط. 1; بيروت: دار الكتب العلمية، 1424 هـ - 2002 م.
<http://waqfeya.com/book.php?bid=2536> (20 أبريل 2018 م).

المصري، ابن أبي الإصبع. بديع القرآن. تحقيق حفي محمد شرف. نهضة مصر: د. م.، د. س.
<https://kutub.me/kcDy1> (15 Juli 2018).

الميداني، عبد الرحمن. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها. دم. دن. دس.
https://archive.org/details/chucraet_moakt (26 Mei 2018).

الهاشمي، أحمد. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. ط. 12; إندونيسيا: مكتبة دار إحياء الكتب العربية، 1379 هـ - 1960 م.

الهرري، محمد الأمين. حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن. ط. 1; دار طرق النجاة: بيروت، 1421 هـ - 2001 م. (26 Mei 2018) <https://archive.org/details/WAQ57625>